القدّيس نيكيفوروس الأبرص: طفولته وإصابته بالبرَص

مقتطفات من حديث للمتروبوليت نيوفيطوس (مورفو-قبرص)[1]

أيقونة القدّيس نيكيفوروس (agiosnikiforos.gr)

سنتحدّث اليوم عن إنسانٍ عاش حياة الصليب وأثبت ذلك بأعماله، مثل القدّيسين والأبرار كافّة، وهو القدّيس نيكيفوروس.

كان المغبوط نيكيفوروس من جزيرة كريت. عندما كنتُ طالبًا، التقيتُ بالعديد من الكريتيّين المُصابين بالبَرَص في مستشفى الأمراض المُعدية في منطقة "إغاليِو" (Egaleo) بالقرب من أثينا. أبي المعرّف كان الأب إفمينيوس (ساريداكيس)، وكان هو أيضًا كريتيًّا وتلميذًا للقدّيس نيكيفوروس خلال السنوات الأخيرة من حياة القدّيس. بالنسبة لي، لم يكن القدّيس نيكيفوروس مجرّد قدّيسٍ قرأتُ سيرة حياته في كتاب، بل كان أبي الروحيّ بطريقةٍ ما.

- **طفولة القدّيس وبداية مرضه**

وُلِدَ القدّيس العتيد في العام 1890 من أبوَين تقيَّين في "سيريكاري" (Sirikari)، وهي قريةٌ جبليّةٌ في مقاطعة "خانيا" (Chania) في جزيرة كريت اليونانيّة. كان اسمه في العالم نيقولاوس. توفّي والداه مبكرًا، وأصبح يتيمًا

[1] أعدنا ترتيب القصص الواردة في هذا الحديث بحسب التسلسل التاريخيّ لحدوثها، واختزلنا المعلومات الإضافيّة (المعرّب).

في الثالثة عشرة من عمره، فتولّى جدُّه رعايته. كان منزل والده في "سيريكاري" مُشابهًا للبيوت القديمة في قبرص، والتي كانت في الواقع قلّاياتِ نُسّاكٍ كانوا يعيشون في العالم. ففي تلك الأيّام، لم يكن النسّاك الحقيقيّون مختلفين خارجيًّا عن الكثير من العائشين في العالم.

أخذَهُ جدُّه إلى "خانيا"، البلدة الأقرب إلى "سيريكاري"، وهناك تعلَّم الحِلاقة. ومباشرةً عندما عاد إلى قريته بعد إنهائه التعلُّم، أخذت البقع بالظهور على جسمه، الأمر الذي أربكه.

- **مجمّعات البرص في قبرص وكريت**

في العام 1980، عندما كنتُ أدرس الحقوق في أثينا، فوجئتُ بأنّ نصف المصابين بالبَرَص في مستشفى الأمراض المُعدية في "إغالِيو" كانوا كريتيّين. رأيتُ هناك قبرصيَّين أو ثلاثة فقط. لقد بنى رجلٌ رائعٌ اسمه "Hadjigeorgakis Kornesios"[2]، مجمّعًا للبُرص[3] في نيقوسيا خلال سنوات الحكم التركيّ، وقتله الأتراك لاحقًا. جمعَ كلّ البُرص الذين في قبرص، وأُنقِذَ السكّان من المرض الرهيب. أمّا في كريت، فلم يكن ثمّة أمرٌ مشابه. فما إن كان أحدُهم يلتقط عدوى البَرَص حتّى يقوم رئيس البلديّة مع شرطيٍّ وطبيبٍ بإخراج المُصاب من المجتمع، ووضعِه في كهفٍ أو بيتٍ قديمٍ غير مسكون. لم يكن البَرَص مرضًا مؤلمًا فحسب، بل كان يعني عزلةً اجتماعيّة. وقد علم نيقولاوس اليتيم، ذو الأربعة عشر عامًا من خانيا، أنّ إصابته تعني أنّه سيموت حيًّا. قتلَ المرضُ أحلامه وصحّته وعلاقاته بالناس.

في العام 1905، عندما علم الأمير جورج بأنّ البرَص يشكّل مشكلةً حقيقيّةً في كريت، قام بزيارتها وقرَّر منح جزيرة "سبينالونغا" (Spinalonga) الصغيرة شمال كريت لأولئك المصابين بالعدوى. وهكذا، فإنّ جميع البُرص، الذين كانوا في الواقع موتى عائشين، استقرّوا في "سبينالونغا". وتأسّس مجتمعٌ صغيرٌ مكوّنٌ من 500 أبرصٍ تقريبًا، أي بحجم قريةٍ صغيرة. مع ذلك، لم تتوقّف معاناتهم هناك، وكانوا معزولين عن بقيّة المجتمع.

---

[2] Hadjigeorgakis Kornesios هو من قرية Kritou Terra في مقاطعة بافوس، ونال لقب ترجمانٍ في ديوان السلطان العثماني. كان ذاك اللقب من أكثر الألقاب الرفيعة المستوى التي منحتها السلطات العثمانية للمسيحيين المحليين، وأعطيَت للأفراد الحاصلين على تعليمٍ عالٍ ومعرفة باللغة اليونانية والتركية.

[3] مجمّع البرص هو مؤسسة طبية (مستشفى) لمعالجة البرص.

- **في الإسكندريّة**

كان نيقولاوس مذعورًا. أخفى مرضه وانتظر فرصةً لمغادرة كريت لأنّه كان قد سمع عن أمورٍ سيّئةٍ متنوّعةٍ كانت تحدث في "سبينالونغا". في عمر السادسة عشرة، ذهب إلى الإسكندريّة حيث وُجِدَ مجتمعٌ يونانيٌّ مزدهر؛ ولكي يكسب لقمة عيشه، عمل في المهنة التي قد تعلّمها في موطنه.

عمل حلّاقًا، وحاول جاهدًا إخفاء الأجزاء المكشوفة من جسمه، أي ذراعيه ووجهه. خشيَ أن يظهر البَرَصُ ويصبح مرئيًّا للآخرين. وكان الذهاب إلى الإسكندريّة أكثر خطرًا من البقاء في كريت. فلو أنّ العرب اعتقلوا نيقولاوس، لكان وضعُه قد ساء أكثر. فكان ظلُّ الموت مخيِّمًا على ذلك الشابّ.

في إحدى صوَره الفوتوغرافيّة، ترون شخصًا أبرص من دون أن تظهر عليه علامات البرَص خارجيًّا. كان نيقولاوس اجتماعيًّا ومحبوبًا في المجتمع اليونانيّ. كان صوته جميلًا، وكان بعامّةٍ شخصًا مُحبّبًا. في تلك الصورة، يحمل نيقولاوس مسبحة صلاةٍ في يده اليمنى. بقيَ في الإسكندريّة حتّى العام 1914، وكان عندها في الرابعة والعشرين من عمره، والتُقطَت له تلك الصورة حينها.

نيقولاوس تزاناكاكيس في الرابعة والعشرين من عمره (Agiosnikiforos.gr)

- **الحجّ إلى الأراضي المقدّسة**

اقترح عليه أحدُهم أن يقوم برحلة حجٍّ إلى الأراضي المقدّسة. من الصعب تخيُّل مدى أهميّة رحلة الحجّ بالنسبة إلى نيقولاوس. سافر إلى الأراضي المقدّسة، وسجد عند القبر المقدّس والصليب المقدّس، بحسب التقوى الشعبيّة لدى أهالي كريت عند حجّهم إلى الأراضي المقدّسة. الوحيد الذي عرف مدى أهمّيّة رحلة الحجّ هذه كان الشيخ إفمينيوس الذي عاش لاحقًا مع الأب نيكيفوروس [وذكر ذلك في العظة يوم دفنه].

- **الصليب مصدر القوّة**

إذًا، ذهب الشابّ الكريتيّ نيقولاوس تزاناكاكيس إلى أورشليم، مُصابًا بمرضٍ رهيب، ليستمدّ القوّة من الصليب. وكما قال صديقي العزيز الراقد أريستيذيس، والذي كان هو أيضًا أبرصَ، إنّ نيقولاوس ذهب إلى هناك لكي "يودِع الكنيسة ألمه". كم من المهمّ أن نودِع الكنيسة ألمنا، أيًّا يكن مصدر ذلك الألم: مرضٌ أو أحزانٌ أو افتراءاتٌ أو فقرٌ أو أيّ شيءٍ نعانيه! وأن ننشئ علاقةً خاصّةً بالصليب المعطي الحياة، والذي فيه تتركّز كلّ قداسة ربّنا يسوع المسيح؛ وأن ننقلها لمَن يعبدونه بتوبةٍ مع تواضعٍ وألم. أحسَّت نفسُ نيقولاوس بذلك، وذهب إلى الجلجثة، إلى صليب ربّنا المقدّس، لينال الإلهام والاستنارة. وإلى أين قادته رحلة حجِّه؟ إلى أسقفٍ تقيٍّ جدًّا، يجري الآن البحث عن اسمه في السِّجلّات. كلُّ ما نعلمه عنه هو أنّه كان ينحدر من جزيرة "ساموس". قال لنيقولاوس بعد الاعتراف:

"يا بنيّ، هذا المرض فتّاكٌ وغير قابلٍ للعلاج. عليكَ الذهاب إلى مكانٍ فيه آخرون مصابون بهذا الداء. لا يناسبكَ الذهاب إلى "سبينالونغا" في كريت. أعرف إنسانًا قدّيسًا يعيش في جزيرة خيوس".

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Metropolitan Neophytos (Masouras) of Morphou. *St. Nikephoros (Tzanakakis) the Leper.* Retrieved from: https://orthochristian.com/164755.html